

دراسة مقارنة بين بواعث المهجاء في الادب العربي و الفارسي

نصرالله شاملي^١

تاريخ القبول: ١٤٢٧/٣/٢٣

تاريخ الوصول: ١٤٢٥/١٠/٢٠

المهجاء طبيعة في نفس البشرية وهو مستمر في كل عصر وفي كل مكان مادام الناس يتفاوتون جمالاً وقبحاً وكمالاً، وهو أثر من آثار حب الانتقام والأخذ بالثأر في القرون الأولى في حياة الناس، وقد دخل التراثق بالسباب والألفاظ محل التراثق بالسهام والنبال.

هذه المقالة تبحث عن مقارنة بواعث العامة للمهجاء في الأدبين العربي والفارسي، وتشير إلى البواعث المشتركة فيهما والمنفردة لكل منهما.

تترك هذه المقالة المقارنة الزمنية للمهجاء لأن المهجاء قديم في الشعر العربي منذ الجاهلية في حين لا نعثر على الشعر عامة والمهجاء خاصة في الأدب الفارسي إلا في القرن الرابع الهجري وما بعده.

الكلمات الأساسية: المهجاء، الأدب، الفارسي، العربي، البواعث.

١. استاذ مساعد بجامعة اصفهان، عضو الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية

الهجاء لغة و اصطلاحاً

الهجاء طبيعة في نفس البشرية و هو مستمر في كل عصر وفي كل مكان ما دام الناس يتفاوتون جمالا و قبحا و كمالا، وهو اثر من اثار حب الانتقام و الاخذ بالثأر في القرون الاولى في حياة الناس وقد حل التراشق بالسباب و الالفاظ محل التراشق بالسهم و النبال وهو امر ثابت في طبيعة الانسان في كل زمان و في كل مكان و بيئة.

«الهجاء، أو المهجو، هو غرض من أغراض الشعر، يقوم على تقييح صورة فرد، أو جماعة، أو عادة من العادات، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود، وهو تعبير عن إحتقار الشاعر للمهجو، والرغبة في الحطّ من شأنه، والهزء به، ومسخه ما أمكن الى ذلك سبيلا»^١.

إصطلاح الناس منذ القدم على أن الهجاء هو فن الشتم و السباب، وهو تقييح المدح كما يقول قدامة^٢، هذا التعريف واضح لا يحتاج الى شرح.

الهجاء لغة من هجا- فلانا هجوا وهجاء: ذمه و عدد معايه و يقال: المرأة تهجو صحبة زوجها، والهجاء: السب و تعدد المعايب و يكون بالشعر غالبا^٣. و الواقع ان في المادة معاني اخرى هي اقرب لان تكون اصلا للمعنى الادبي، مادة الهجاء و اوية يائية كما قال ابن سيدة و نقله عنه صاحب اللسان^٤ و نحن نجد من تصاريف هذه المادة اليائية في المعاجم قولهم: هجى البيت: انكشف و هجيت عين البعير: غارت^٥. و من المادة الواوية هجو يومنا: اشتد حره. و هجوت الرجل: شتمته بالشعر وهو خلاف المدح و الهجاة و الهاجة: الضفدع^٦.

نحن لا نستطيع ان نرجح معنى من هذه المعاني على انه اصل للمادة فقد يكون الهجاء بمعناه الادبي ماخوذا من الضفدع فهو قبيح الشكل، شنيع الصوت و فقد يكون متصلا بمعنى الشدة و الحرارة التي يحسها المهجو حينما يسمع كلام الهاجي او بما فيه من التعذيب و التنكيل. و قد يكون ماخوذا من الاصل اليائي فهو يكشف عن سيئات المهجو و يجرده من

الفضائل. على كل حال معاني الهجاء تدور حول البشاعة و الشدة و التعذيب و الكشف.

و ايضا نجد في بعض المعاجم قولهم: هجاء غرثه و جوعه اى اسكن^٧، كان الهجاء يسكن الآم الهاجي.

كان الهجاء عند العرب في العصر الجاهلي يقوم على نوعين، فردي و قبلي. يقوم الهجاء الفردي على تجريد المهجو من الفضائل و المثل الجاهلية مثل الكرم و الشجاعة و الفروسية و اغائة الملهوف و... و الهجاء القبلي يعتمد على الدفاع عن القبيلة.

ظل الهجاء في صدر الإسلام سائداً و ذلك للدفاع عن النبي ضد الاعداء و في العصر الاموي ازدهر هذا الفن بعودة العصبية القبلية و كثرة الاحزاب السياسية و اخذ اصحاب كل حزب يهجون اعداءهم.

في العصر العباسي شاع الهجاء بأنواعه السابقة اضافة الى انه اتخذ طابعا آخر، اذ إن العصبية القبلية قد ضعفت لتحل محلها العصبية القومية. و في العصر الحديث إضمحل الا في بعض النواحي السياسية.

اما الأدب الفارسي فاكثر النقاد يذهبون الى أن الشعر الفارسي اتضحت معالمه في القرن الرابع. و في القرون الاولى اشعار كثيرة و تلك التي وصلت اليها في كتب التذاكر قليلة، و اكثرها مجعولة لا يعرف قائلها و من الطريف ان موضوع هذه الاشعار يدور حول الهجاء مثل ما اثر عن يزيد بن مفرغ في هجو آل زياد:

آب است و نبيد است

و عصارات زيب است

و دنه فربي و بي است

و سمييه رو سپيد است^٨

يقول الشاعر أرى في مجلس الشراب ماءً و شراباً و نبيداً و عصارات الزيب و كذلك أرى فيه مرأة زانية وهي سميئة. ظل الهجاء سائداً في القرن الرابع و كان هجاءً فردياً خلقياً، بعيداً عن الفحش و الاقذاع، قريبا من الواقع، كان ينظر الهجاء الى الطبقات السفلى من المجتمع.

حماية الجار و الاستسلام للمهاجمين من الاعداء والقعود عن النار و لم يتأثر بالمثل الجديدة الا قليلاً .

اثر هذا العامل بارز في شعر شعراء الشعوبية والفرق والمذاهب التي أوجدها الدين خاصة في العصر العباسي نحو ما قال ابونواس في هجو البرامكة حيث يقول:

إني لـولا شقاء حدي

ما مات موسى، كذا، سريعاً

ولا طوئته المنون حتى

أرى بني برمك جميعاً

هذا زمانُ الفروُدِ فاحضَعُ

وكن لهم سامعاً مطيعاً

كأنهم قد أتى عليهم

ما غال يعقوب والريعاء^١

التزاع العقلي والديني و الفلسفي كان الباعث الاول لما

نشهده في قصائد بعض الشعراء العباسيين من ميل الى الجهر بالكفر، والتظاهر بالجون و هجاء رجال الدين، أنظر ما يقول المعري في هجاء رجال الدين:

و قد فتشت عن اصحاب دين

لهم نسك و ليس لهم رياء

فالفيت البهائم لا عقول

تقيم لها الدليل و لاضياء

و إخوان الفطانة في احتيال

كأنهم لقوم انبياء

فاما هؤلاء فاهل مكر

وأما الأولون فأغنياء

فإن كان التقي بلهاً وعياً

فاعيار المذلة أتقياء^{١١}

فإن سخطه يشمل المتدينين و غير المتدينين، فالمتدين أبله

موصوم بالرياء، وغير المتدين ماكر يملوه الكبر و الغرور.

في القرن الخامس لم نعثر على شيء جديد من الهجاء فقد تناول الشعراء نفس المعاني التي كانت متداولة في القرن الرابع.

إزدهر الهجاء في القرن السادس والسابع وشاع الهجاء بجميع انواعه من الفردي والجماعي والخُلقي والخُلقي والفاحش والعفيف والسياسي والديني

إتخذ الهجاء في هذا العصر طابعاً جديداً و هو القصائد المطولة في ذم طبقات الناس او في ذم مدينة وقد سمي «شهر آشوب».

البواعث المشتركة في الاديان

هناك بواعث أدت إلى تطوّر شعر الهجاء في الاديان (بعضها مشتركة بينهما و بعضها تختلف عن الاخرى).

١- الدين

الباعث الذي صاحب ظهور الاسلام هو الدين، على نحو ما تأثر المديح بالاسلام تأثر الهجاء، اذ اخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين، فأطالوا في وصفهم بالفسوق والبغي والطغيان . فقد جاء في السيرة النبوية ان الرسول طلب الي شعراء المدينة ان يعينوه بأهاجيهم في قريش، و يروي انه قال لحسان بن ثابت الانصاري و قد اخذ في هجاء القريشيين «شعرك اشد عليهم من وقع النبل». ادرك النبي قيمة هذه الحرب الكلامية وما تترك من أثر في نفوس الناس، و صار الهجاء و القتال متلازمين في نشر الدعوة، كما يقول حسان:

لنا في كل يوم من معد

سباب أو قتال او هجاء

فنحكّم بالقوافي في هجانا

و نضرب حين تختلط الدماء^٩

وقد كان اثر هذه العناية بالدين واضحاً في نمو فن الهجاء

ولكنه لم يترك أثراً واضحاً في أسلوب هذا الفن فقد ظل كما كان جاهلياً، معتمداً على الأنساب، حمول الذكر، العجز عن

العصر والزمان (والمراد نفس الخاقاني الحكيم) وهو الذي ينكر الدين، فأباده الله بطريق زمانه باب بطرس، وكل طريق خير من طريق هذا الجاحد المنحوس.

إن شئت فسمّ يهودياً بين الملاحدة و إن شئت فسمّ ملحداً بين اليهود، هو يقول إنّ حسن الصباح كان نبياً و كان في رتبة الجلال و العظمة كيئلاً كبيراً. هو الذي يقول حول شخصية نبينا محمد (ص) إنه كان حكيماً كيميائياً و الذي اعتقد بأنّ محمداً (ص) كذلك، ماذا يقول حول شخصية الخاقاني نفسه؟ هو الذي يقول، إنّ رسول الله (ص) كان فاجراً!!! فانظر ماذا يقول حول شخصية أولاد علي (ع) فلا يكون هذا الملعون كمثل حسن الصباح و لا يكون هذا كمثل أهل قزوين.

ويهجو سوزني السمرقندي شاعراً اسمه النظامي:

اي نظامي كلكي بي سر و بي ساماني

به نغوشاك و جهود و مغ و ترسا ماني

حمر ساماني با تو به نسب كوس نزد

به چه معني لقب خویش كني ساماني

پدر تو بره اي يافت به تركي بفروخت

ترك سامان در او كرد شد ساماني^{۱۳}

يقول : يهجو السوزني السمرقندي النظامي الشاعر فيخاطبه بأنك فاسد وأنت أشبه بالجوس واليهود والنصارى من المسلمين، إنّ حمار السامانيين لا يرضى أن يكون منسوباً بك (أو تكون من أقرباء النسبية) فلماذا تسمّي لقبك سامانياً؟ وجد أبوك غنماً فباع الغنم واشتره أحداً من الأتراك فتركه وانصرف عنه فصار سامانياً.

ناصر خسرو _ وهو شاعر من شعراء القرن الخامس _

يهجو الفقهاء والواعظين بقوله :

بر سر منبر سخن گوید مر اوباش را

از بهشت و خوردني حيران همي زين سان كنند

بانك بردارند و بخروشند بر اميد خورد و نگويي

چون حديث جو كني بي شك خران افغان كنند

وصل الجدل الديني في الادب الفارسي إلى أشده بين الفرق الاسلامية، وكان من نتائج هذا الجدل الديني اشتغال الناس بامور متعددة وظهور آراء دينية جديدة فيها شيء من الغرابة وانقسام الناس بين المذاهب المختلفة و تعصبهم لها. وهذا التعصب الديني جعل الشعراء يتهمون مهجويهم بحمايتهم لفرقة منبوذة في المجتمع. لهذا نرى الخاقاني يتهم استاذه اباالاعلا كنجوي بالمذهب الاسماعيلي:

بيي سگ گنجه را در اين كوي آن

هم سرخ قفا و هم سیه روي چون

ملحد بوالعلاي سافل

وحش وبهيمه غفل وغافل

آن جاحظ وقت را بدي خواه

آن جاحد دين اباده الله

بطريق زمانه باب بطروس

صد ره به از اين جحود منحوس

خواهيش جهود ملحدان خوان

وز خواهي ملحد جهودان

گويد كه حسن پيميري بود

كيّال بزرگ مهتري بود

گويد كه محمد اي برادر

بد مرد حكيم كيمياگر

انك احمد را حكيم دانند

خاقاني را بين چه خواند

گويد كه رسول بود فاجر

در پور علي چه گويد آخر

صبح نشد اين لعين بي دين

ما نا كه نماند اهل قزوين^{۱۲}

يقول: نرى أن الخاقاني يتهم أستاذه أبا العلاء الكنجوي

وهو معتقد بالمذهب الاسماعيلي ويخاطبه بكلب قبيح المنظر، ثمّ

وصفه بجيوان وحشي غافل، طالب الشر، يطلب الشر لجاحظ

أخذ المهجاء السياسي في العصر العباسي طابعاً شعوبياً عند بعض الشعراء نحو بشار.

هذا المهجاء منصّب على النظام الحاكم و الحكام و نقد سياستهم و اتهامهم بمفاجأة الدين والخروج على الشرع فيما يفعلون، يهاجم عبدالله همام السلولى في مبايعة معاوية لابنه يزيد، نظام الوراثة الذي استحدثه معاوية، قائلاً إنها كسروية ليست من الاسلام في شيء:

فإن تأتوا برملة او بهند

نبايعها أميرة مؤمنينا

إذا ما مات كسرى قام كسرى

نعد ثلاثة متناسقينا

فيا لهفا لو أن لنا ألـوفاً

ولكن لانعود كما عينا

إذا لضربتمو حتى تعودوا

بمكة تلعقون بما سخينا

حشينا الغيظ حتى لو شربنا

دماء بني أمية ما روينا

لقد ضاعت رعيتكم واتم

تصيدون الأرانب غافلينا^{١٧}

وبعض هذا المهجاء منصب على الحكام، ونقد سياستهم واتهامهم بمفاجأة الدين والخروج على الشرع فيما يفعلون. من هذا النوع شعر عتبة الاسرى في هجاء معاوية، يتهمه بالشره في جمع المال، وبافساد أمر الناس وتأمين الأراذل والعبيد:

معاوي إننا بشر فأسجح

فلسنا بالجبال ولا الحديد

اكثرنا أرضنا وحذذتمونا

فهل من قائم او من حصيد

فهنا امة هلكت ضياعاً

يزيد أمـيرها وأبو يزيد

أنطمع بالخلود إذا هلكنا

وليس لنا ولا لك من خلود

جاي خورد و كردني باشد بهشت

برتوازخشم وسفاهت چشم چون پيكان كند^{١٤}

يقول : الفقيه (الواعظ) يعظ الناس (أوباشهم) يبشّهم

بالأكل الدائم في الجنة وحيّهم بأكلها ولذاتها ورغد عيشها فإن سفلة الناس إذا سمعوا كلامه ينادون ويصرخون رجاءً لوفر العيش، كما إذا حدثت عن الشّعْر وهو طعام الحمير، تصرخ بلاشك وإذا قلت إن الجنة لا تكون مكان الأكلة واللذة المادية ييغضونك كأنهم يرمونك بسهام أعينهم.

٢- السياسة

الباعث الذي ظهر في العصر الأموي هو السياسة، عرف معاوية و خلفاؤه ما للشعر من أثر في نفوس الناس وحرصوا على أن يجمعوا حولهم أكبر قدر ممكن من الشعراء وأصبحت السياسة الحزبية حرفة يتكسب بها الشعراء، وقد أعان التشجيع من جانب الخلفاء و الزعماء و الطمع من جانب الشعراء على استفحال المهجاء السياسي.

«كان المهجاء وسيلة من وسائل بث الدعوات و توطيد

الملك وما اشبه خاصة في حروب الردة بعيد موت النبي وفي التنازع على السلطة بعيد مقتل عثمان^{١٥}».

من اروع ما يصور المهجاء السياسي نقيضة الاختل المشهورة :

حف القطين فراحو منك أو بكروا

و أزعجتهم نوي في صرفها غير^{١٦}

وهو يمزج المدح فيها بالمهجاء ويرفع من قدر الامويين معرضاً بأعدائهم من القيسية، مباحياً بمشاركة قبيلته في اقرار الخلافة. نجد في هذه الفتره هجاء الشيعة الذي غلب عليه الحزن والرتاء، لكثرة من قتل منهم ولشدة ما وقع عليهم من ظلم واضطهاد، وهجاء الخوارج الذي تمثلت فيه الفدائية والاخلاص للمبدأ الى حد الموت والفناء، وهجاء الولاة في الاقاليم، يعارض سياستهم وينقد تصرفاتهم وهذا المهجاء مختلط بالمهجاء الاجتماعي.

ذروا حول الخلافة واستقيموا

وتأمين الأراذل والعييد^{١٨}

ونحو قول بشار:

بني امية هبوا طال نومكم

إن الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم، يا قوم، فالتمسوا

خليفة الله بين الزق و العود^{١٩}

قال بشار هذين البيتين هجاء للمهدي واستفزازاً له على

وزيره يعقوب بن داوود وتحريضاً لبني امية على استرجاع

ملكهم.

يهجو دعبل المعتصم بقوله:

... ملوك بني العباس، في الكتب سبعة

ولم تأتينا، عن ثامن لهم، كتب

كذلك أهل الكهف، في الكهف سبعة

خيار اذا عُذّوا وثامنهم كلب

وإني لاعلي كلبهم عنك رفعة

لأنك ذو ذنب، وليس له ذنب^{٢٠}

استفحل الهجاء السياسي في الادب الفارسي في القرن

الخامس وما بعدها، نطالع في دواوين الشعراء الايرانيين ما

يرتبط بهجاء الدولة والحكام وفسادهم وسوء تدبيرهم وظلمهم

وبخلهم في اعطاء الصلّة، و... منهم: منجيك، الفردوسي،

ناصر خسرو، السنائي، سعدي الشيرازي، حافظ الشيرازي،

ابن اليمين، عبيد الزاكاني، اوحالدين المراغي وسيف الفرغاني

و... .

يقارن منجيك بين حكام عصره وبين الحكام السابقين

هائجاً و يقول:

همه تفاخر آنها به وجود و دانش بود

همه تفاخر اينها به غاشيه و جناح^{٢١}

يقول: هؤلاء يتفاخرون بالجوود والعلم وآخرون يتفاخرون

بسرّج الخيل وجناح الجيش وقلبه ويمينه ويساره.

ويهجوهم ايضاً لبخلهم في اعطاء الصلّة:

اي مجلسيان حضرت شاه

درياي شما نهنگ دارد

از هر خدا مرا بگوويد

تا نان شما چه رنگ دارد^{٢٢}

يقول: يخاطب الشاعر من تعلق ببلاط الملك ويقول لهم،

بحركم صاحب الحوت (والمراد مثل هذا المثل أن الذي تعلق

ببيوتكم فإتته في معرض الأخطار الموحشة ومواجهة بالخطرات

العظيمة).

فقولوا لي خالصاً لوجه الله ما لون خبزكم؟ يعني إتته بسبب

البخل الشديد الذي يرى حكماً صاحب الجلال والجبروت

ويرى رغد العيش في معيشتهم يسئل منهم ما هي مائدتكم وما

فيها من الأغذية والأشربة؟ إتته بسبب الفقر الشديد وعدم

الأكل القانع عنده، يرمى الحكام البخلاء الذين يتعلقون ببلاط

الملوك بعدم الإنفاق على فقراء المعترّين.

وهجو الفردوسي لخمود الغزنوي هو رد فعل سياسي

وعقائدي:

از اين در سخن چند راتم همي

چو دريا كرانه ندانم همي

به نيكي نبد شاه را دستگاه

وگر نه مرا بر نشاندي به گاه

چون اندر تبارش بزرگي نبود

ندانست نام بزرگان شنود^{٢٣}

يقول: كلما أقول للملك من معاييه أو قبائحه، فهو قليل لا

حدّ له، ثمّ يستمر قائلاً: إنّ للملك شأن عظيم يرحبني ويحبّيني

بالقرى وعلوّ الدرجات، فإن لم يفعل كذا وكذا فهو دالّ على

أنّه لم يكن من الأسر الأصيلة حتى يسمع كلامي.

ولعل من اروع ما قيل في هذا النوع من الهجاء قول ناصر

خسرو في ذم الخلفاء العباسيين وامير خراسان، حيث

يقول:

چون به بغداد فرود آيي، بيش آرد

ديو عباسي، فرزند به قرباني^{٢٤}

والسنایی شاعر القرن السادس في قصيدة شكوائية، يصف
الامراء والحكام بالظلم والفساد والشهوة:
مرد هشیار در این عهد کم است
ور کسی هست به این متهم است
زیرکان را ز در عالم و شاه
وقت کُرم است نه وقت کرم است
پادشاه را ز بی شهوت و آز
رخ به سیمین برد سیمین صنم است
امرا را ز بی ظلم و فساد
دل به زور و زر و خیل و خشم است^{۲۷}

يقول: الرجل الذكي الكيس، فهو قليل جداً في هذا
العصر، إن كان عدداً قليلاً فهو متهم بالذكاوة والكياسة، إن
كان رجلاً ذكياً، فهو يذوق طعم الألم والمصيبة من بلاط
الملوك والأكابر، مكان السخاء والجود. إن الملوك رغبوا في
محبوباتهم الجميلة من الباكرات ومن النساء ولا يلتفتوا لشيء
آخر. هذا عمل الملوك شهوتاً وحرصاً في الدنيا كما يكون
عمل الأمراء والحكام في الظلم والفساد وقلوبهم تميل إلى الخيل
والحشم والقدرة والذهب والجبروت.

۳- الاجتماع

العامل المشترك في بواعث الهجاء في الاديين الفارسي والعربي
هو العامل الاجتماعي الذي هو سبب الهجاء الاجتماعي وهذا
النوع من الهجاء لا يصور معارضة حزبية، ولكنه يصور سخطاً
على النظم الاجتماعية السائدة.

هياً استعار العصبية القبلية لاشتعال الهجاء في العصر الاموي
كما هياً لنمو فن النقائض نمواً واسعاً وقد اعدت لهذا النمو
عوامل كثيرة. منها العامل الاجتماعي، فمردها - كما يقول
شوقي ضيف -: «الى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة الى
ضرب من الملاهي يقطع به الناس اوقاتهم الطويلة ... أخذت

يقول: حينما نزلت ببغداد فإن أمير خراسان يعتقلك ثم
يسلمك إلى الخليفة العباسي ليقتلك.
او يهجو امير خراسان ويشبهه بالذئب والشيطان ويشبهه
حيشه بجيش الاغوال:
گرگی تو نه میر مر خراسان را
سلطان نبود چنین تو شیطانی
دیو است سپاه تو یلی، لیکن
تا ظن نبری که تو سلیمانی لیکن
در قصد نیت همه بدی داری
چه کنی که سخت خلقانی^{۲۸}

او هجو خواجو کرمانی امیراً ظالماً:
روزی وفات یافت امیری در اصفهان
ز آنها که در عراق به شاهی رسیده اند
دیدم جنازه بر کتف تونیان و من
حیران که این جماعت از این تا چه دیده اند
پرسیدم از کسی که چرا توتیان شهر
از کارها جنازه کشی بر گزیده اند؟
حمل مرده در همه شهری جدا بود
هر شغل را برای کسی آفریده اند
برزد بروت و گفت که تا ما شنیده ایم
حامیان همیشه نجاست کشیده اند^{۲۹}

يقول: في يوم من الأيام مات أمير في إصفهان وكان من
أصلا بملوك العراق. فرأيت الجنازة على كتف جماعة من
الحمامين، فعجبت من عملهم، فسألت في نفسي لماذا حملوا
جنازته وماذا رأوا منه سماحة وجوداً؟ ثم سألت من رجل آخر
بأى سبب هؤلاء الجماعة يحملون جنازة الأمير؟ ثم قلت له إن
حمل الجنازة من عمل الآخرين لا الحماليين. فأجابني إننا سمعنا
مثلاً فهو: حمل الأرحاس والأبحاس حمالي!!!

نيران الهجاء تشتعل، حينئذ انبرى المهاؤون يملأون أوقات الناس بأهاجيهم، وسرعان ما تحولوا بها الى نقائص مثيرة^{٢٨}.

إن النقائص كانت مناظرات او مساجلات بين المتناظرين وكان الغرض منها تسليية الجماعات العربية الفارغة عطلة بعد هدوء حركة الفتوح الواسعة.

الهجاء الاجتماعي هو الذي يعبر عن اختلاف المقاييس الاجتماعية ويبين حقد الفرد على المجتمع، لا يكتفي بالتعرض للفرد الواحد، بل انه يتعرض للمجتمع بكامله ولاخلاقه ومبادئه وقيمه. نشهد مظاهر هذا الهجاء في هجاء ابن الرومي والمتنبي.

لعل البعد الاجتماعي ظاهر في هذه الابيات:

... نحن أحياء على الارض وقد

خسف الدهر بنا ثم خسف

اصبح السافل مناعالياً

وهوى أهل المعالي والشرف

رب أنصفني من الدهر فما

لي الا منه بك منتصف ...^{٢٩}

يشير المتنبي في الابيات التالية الى اختلاف المقاييس، والى انعدام القيم والأخلاق حتى صار العالم غنياً والحازم وغداً، والكريم كلباً، والبصير اعمى، والشجاع قرداً:

أذم الى هذا الزمان أهيله

فاعلمهم فدم وأحزمهم وغد

واكرمهم كلب وأبصرهم عم

وأشهدهم فهد وأشجعهم قرد^{٣٠}

نظرة خاطفة الى الهجاء الاجتماعي في الادب الفارسي تبين ان الشاعر دائماً يشكو من جهل عامة الناس وانحطاط مجتمعه وانغماس حكامه في الترف، ظلم الحكام على المجتمع والرياء والارتشاء وكساد سوق الشعر وعدم اعطاء الصلح وتعلل المدح في اعطاء وعدم اعتناء المجتمع والحكام بالشاعر والفقر والجوع الفوارق الموجودة بين طبقات الناس و ...

يصف ناصر خسرو الحياة الاجتماعية في خراسان:

بخاصة تو اي نحس خاك خراسان

پر از مار و كزدم يكي پارگيني

برآشفته اند از تو ترکان نگويي

ميان سگان در، يكي ارزيني

اميرانت اهل فسادند و غارت

فقيهانت اهل مي و ساتکيني

مکان نيستی نه تو دنيا نه دين را

کمينگاه ابليس شوم لعيني^{٣١}

يقول: يخاطب الشاعر أرض خراسان ونحوستها خاصة لأن

هذه الديار بسبب ظلم الكثير من ناحية الأمراء و الملوك أصبحت مستنقعة جمعت فيها المياه الملوثة تتولد منها الحيات والعقارب وأيضاً بسبب كثرة الظلمة يا أرض خراسان إن الأتراك قد غضبوا منك، هل تقولين: أدخلني بين الكلاب لأتك شيئاً رخيصاً؟ أن أمراءك وولاتك فاسدة غائرة، وإن فقهاءك أهل الخمر والملاهي. أنت مأوى الشيطان اللعين المنحوس والدنيا مأوى الكرامة.

يصور انوري شاعر الهجاء في القرن السادس احوال مجتمعه:

اي خواجه مكن تا بتوانی طلب علم

كاندر طلب راتب هر روز بماني

رو مسخرگی پيشه کن و مطربي آموز

تا داد خود از كهتر و مهتر بستانی^{٣٢}

يقول: يخاطب الشاعر الإنسان الذي يظماً في طلب العلم

فينهاه منه، لأنه كل يوم مضطرب و فقير ولا يزال في طلب الرزق، إنه يأمره أن يشتاقي إلى السخرية والإستهزاء حتى يكون مطرباً أو مغتياً، وبسبب هذا يقدر أن يأخذ حقه من هذا الطريق.

والمونجهري:

روزگاری كان حكيمان و سخنگويان بدند

بود هر يك را به شعر نغز گفتم اشتهي

اندر اين ايام ما بازار هزل است و فسوس

كار بوبكر ربابي دارد و طنز جحي^{٣٣}

من قرین گنج و اینها خاک بیزان هوس

من چراغ عقل و اینها روزکوران هوا^{۳۵}

يقول: إنَّ الخاقاني يعتقد هو صاحب اللسان والكلام وإثمه
أشعر شعراء عصره و يقول إنَّ إقليم الكلام تحت سلطتي ويدي
وهو الذي صاحب الكثر أو مجاوره وسائر شعراء عصره
يغربلون التراب ليصلوا إليه ولا يصلون به إثم هو السراج المنير
وصاحب اللبّ والعقل. وإنَّ قرناه و زملاءه الرجال الحمق.
او يقول:

سخن دانی به که ختم است؟ می دانی و می پرسی

فلک را بین که می گوید: به خاقانی! به خاقانی!^{۳۶}

يقول : مَنْ الأديب؟ وبمَنْ يُختم الأدب؟ ثم يجيب: ختم
الأدب والكلام بالخاقاني أنا لا أقول بل الأفلاك تقول كذا؟
يقول المتنبّي:

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم^{۳۷}

او:

وما الدهر الا من رواة القصائدي

اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا^{۳۸}

نتائج البحث

الهجاء في المعاجم اللغوية له نفس الدلالة في الأدب، وهي
تقبيح صورة فرد أو جماعة أو عادة من العادات أو مظهر من
مظاهر الحياة والوجود.

الهجاء كان قديماً في الشعر العربي وتطور معه، كما أنه كان
مرتبطاً بأناشيد دينية فكان الهجاء كذلك. كان للقبيلة أثرها في
تطور موضوعات الشعر الجاهلي وصارت باعثاً من بواعث الهجاء
حيث نجد أنّ الهجاء أوجدته المناقشات القبلية نحو: النزاع بين
الفرد والقبيلة أو بين الفرد ورئيس القبيلة أو بين القبائل.

المناقشات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي كانت سبباً
في تطور شعر الهجاء والحق أنّها كانت صورة بدائية لفن الهجاء
وكانت تعتمد على المثالب الشخصية.

يقول: يتذكّر الشاعر أياً ما كان يعيش الحكماء والمتكلمون
فيها وهم منشدون الأشعار ما يلين بما لكنّ في أيامنا، الناس
متلاعبون بالملاهي والسخريات، وإنّ سوق أبي بكر الرباب
وطنز حجي رائجان في المجتمع.

٤- نفسه الشاعر

نفسية الشاعر كانت من بواعث الهجاء في الاديين الفارسي
والعربي، لو تتبعنا تاريخ الهجائين في الآداب المختلفة لرأيناهم
قد قاسوا من الحياة وحقرها في نظرهم، وجعلهم يحقدون
على كل صاحب نعمة يعيش في سعادة وهناء، كان الخطيئة
ديميم الحلقة مغمور النسب وكان جرير متواضع النشأة
والنسب وكان بشار مشوه الخلق وكان ابوه مولى مهيناً وكان
الجاحظ اسود قصيراً دميماً، ولو تتبعنا شعراء الموالى لوجدنا
هم في معظمهم هجائين، منهم ابوعطاء السندي، زياد الاعجم
واسماعيل ابن يسار، ابوالعباس الاعمي وبشار.

السنتائي كان قبيح المنظر، الانوري والسوزني والخاقاني كانوا
وضيعی الاصل والنسب، عبدالرزاق الاصفهاني كان عيباً يقول:

گویند کج زبانه کج باش گو زبان

چو هست در معانی و در لفظ استوار

طرف کلاه خوبان خود کج نکوتر است

ابرو و زلف دلبر، کج بهترو دوتا^{۳۹}

يقول: إذا أقممت من قیل الناس باعوجاج كلامی ولساني،
لا أبالي ولا ألتفت بهم لأنّ كلامي محكم لفظاً ومعنى وإثني
فصيح بليغ لا أتكلّم إلا بملاحظة لساني في اخراج لفظ يتضمّن
معنى البليغ.

الشاعر الذي يلتزم في اشعاره للفخر بنفسه، من الطبيعي ان
يلتزم للفخر فيه بالهجاء لأنه ليس سوى وجه اخر من الفخر،
انه الفخر السلبي.

يقول الخاقاني:

نیست اقليم سخن را بهتر از من پادشاه

درجهان ملک سخن راندن مسلم شد مرا

اتضح معالم الأدب الفارسي في القرنين السادس والسابع الهجريين، وكان شعر الهجاء في هذين القرنين شعراً فردياً خلقياً، بعيداً عن الفحش، قريباً من الواقع، وكان ينظر إلى الطبقات السفلى من المجتمع. في القرن السادس اتخذ طابعاً جديداً وهو القصائد المطولة في ذم طبقات الناس أو في ذم مدينة سمي بـ " شهر آشوب " من أشهر شعراء هذا النوع هو مسعود سعد سلمان والخير البلقاني لا نجد مثل هذا النوع من الشعر في الأدب العربي إلا أن العصر الأموي كان يعرف نوعاً من هذا الهجاء بإسم هجاء الأقاليم.

هناك بواعث أخرى أدت إلى ظهور الشعر الهجاء في الأدب الفارسي منها: الفقر والحرمات وكساد سوق الشعر، طمع الشاعر والحروب المستمرة في عهد السلاجقة، بخل الممدوح في إعطاء الصلة و ...

المشاجرات التعليمية التي كانت رائجة بين الشعراء الإيرانيين كانت سبباً في انتشار الهجاء في الأدب الفارسي، مثلما نجد عند سوزني السمرقندي والسنائي والمعزّي والخاقاني و صار الهجاء في الأدب الفارسي في أواخر قرن السادس وأوائل السابع وسيلة من وسائل التعليم كما نجد عند المولوي.

كان أثر الدين في نمو الهجاء بارز في الأديين، النزاع الديني والفلسفي كان الباعث الأول في شعر الهجاء في الأديين الفارسي والعربي، مثلما نجد في شعر المعزّي والخاقاني وسوزني السمرقندي وناصر خسرو. وصل هذا الجدل الديني فيهما إلى أشدّه بين الفرق الإسلامية وهذا التعصّب جعل الشعراء ينسبون مهجويهم لفرقة منبوذة في المجتمع.

استفحل الهجاء السياسي في الأديين الفارسي والعربي وشاع الهجاء السياسي منه: هجاء الشيعة والولاة والخوارج وأخذ هذا النوع طابعاً شعوبياً في الأدب العباسي. نطالع في الأدب الفارسي هذا النوع من الهجاء في دواوين كثير من الشعراء نحو: منجيك، ناصر خسرو، السنائي والسعدي الشيرازي.

النظم الإجتماعية في المجتمع كانت سبباً في سخط الشعراء عليها وفي انتشار الهجاء الإجتماعي الذي يعبر عن اختلاف المقاييس الإجتماعية يبيّن حقد الفرد على المجتمع، لا يكتفي هذا الهجاء بالتعرّض للفرد الواحد بل إنّه يتعرّض للمجتمع بكامله، ولأخلاقه و مبادئه نشهد مظاهر هذا الهجاء في هجاء ابن الرومي والمنتبّي وفي الأدب الفارسي في هجاء ناصر خسرو والأنوري والمنوچهري و .. .

الهوامش

- [١] يعقوب، اميل بديع وميشال عاصي. المعجم المفصل في اللغة والأدب، دارالعلم للملأين، بيروت، ٢: ١٢٨١.
- [٢] راجع: ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر، دارالمكتبة العلمية، بيروت، ص ١٠.
- [٣] انيس، ابراهيم و اخرون. المعجم الوسيط، ط٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ص٩٧٥.
- [٤] ابن منظور، مكرم محمد. لسان العرب، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢، ٤٤:١٥.
- [٥] ابن منظور، مكرم بن محمد. نفس المصدر، ٤٤:١٥ والفيروزابادي، مجد الدين. قاموس المحيط، دارالعلم للجميع، بيروت، ٤٠٢:٤ و ٤٠٣.
- [٦] ابن منظور، مكرم بن محمد. نفس المصدر، ٤٦:١٥.
- [٧] ابن عباد، الصاحب. المحيط في اللغة، التحقيق: محمد حسن ال ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤ ٢٢:٤.
- [٨] زرين كوب، عبدالحسين. دو قرن سكوت، چاپ ٥، انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٥٥، ص ١٢٥.
- [٩] راجع: ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي «العصر الاسلامي»، ط ٦، دارالمعارف، مصر، ص ١٧٩.
- [١٠] البستاني، فؤاد افرام. المجاني الحديثة، ط ٣، دارالمشرق، بيروت، ٣: ٥٢.

إصبر یزید فقد فارقت ذامقة
و اذکر حباء الذي بالملك حاباكا
لا رزء أعظم في الاقوام نعرفه
كمثل رزتك او عقبی كعقبانا
و هي في العقد الفريد ۳ : ۲۵۴ .
[۱۸] محمد حسين، محمد. نفس المصدر. ص ۴۹ (نقلاً عن
العقد الفريد. ۶ : ۱۶۸) سحج الخد (كفرح) سجحاً و
سجاجة: سهل و لان و طال في اعتدال و قلة اللحم.
[۱۹] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ۳ : ۱۷. الزرق:
السقاء يوضع فيه الشراب، العود: آلة للطرب المعروفة.
[۲۰] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ۳ : ۷۲.
[۲۱] نيكوبخت، ناصر. هجو در شعر فارسي، چاپ اول،
انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ۱۳۸۰، ص ۱۳۷ (به
نقل از محمود مدبري، شرح احوال شعراء بدون ديوان ص
۳۴). غاشيه: زين پوش، جناخ: دامنه زين اسب، تسمه
ركاب، طاق پيشين اسب.
[۲۲] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۱۳۷.
[۲۳] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۱۳۷.
[۲۴] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ۴۳۱.
[۲۵] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ۶۰.
[۲۶] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۱۴۵.
[۲۷] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۱۳۸. (كُرم: غم
و اندوه سخت)
[۲۸] ضيف، شوقي. نفس المصدر، ص ۲۴.
[۲۹] راجع: الحاوي، ايليا. نفس المصدر، ص ۵۷۸.
[۳۰] المتني، ابوالطيب. ديوان المتني، دار صادر، بيروت، ص
۱۹۸.
[۳۱] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ۱۶.
[۳۲] حلبي، علي اصغر. مقدمه اي بر طنز و شوخ طبعي
در ايران. چاپ دوم، مؤسسه پيك ترجمه و نشر، تهران،
ص ۴۹.

كان موسي الهادي قد عزم على الفتك بالبرامكة، ولكنه مات
قبل ان ينال مراده منهم، فأبو نواس يشير الي هذا و يقول
انه لولاحظه الشقي لما مات موسي قبل ان ينكب البرامكة،
و لما كان هؤلاء بقوا احياء فهو لايزال يراهم جميعاً.
يعقوب هو يعقوب بن داوود كان قد استوزره المهدي. ثم
كثرت فيه الوشايات فحبسه في بئر و بقي فيها الى ان
أخرجه الرشيد منها، في عهد خلافته و قد عمي.
الربيع هو الربيع بن يونس استوزره ايضاً المهدي ثم قتله بالسم.
[۱۱] المعري، ابوالعلاء. اللزوميات، ط الاولى، دارطلاس
للدراستات و الترجمة و النشر، بيروت، ۱۹۸۶، ۱ : ۴۴.
الاعيار ج عبر و هو الحمار، يقول لو كان كل ما يتطلب
في التقى أن يكون أبله غيباً لكان الحمار احمق شيء بأن
يوصف بالتقوي.
[۱۲] خاقاني، أفضل الدين. تحفة العراقيين، تصحيح: يحيى
قريب، چاپ ۲، انتشارات شركت سهامی كتابهای
حيی، تهران، ۱۳۵۷، ص ۲۳۵ - ۲۳۷.
[۱۳] سمرقندي، سوزني. ديوان اشعار، تصحيح: ناصرالدين
شاه حسيني، چاپ اول، اميركبير، تهران، ۱۳۳۸، ص
۴۶۸. (نغوشاك: پيرو دين مانوي).
[۱۴] ناصر خسرو قبادياني، ديوان اشعار، تصحيح: سيد
نصرالله تقوي و به كوشش مهدي سهيلي، مؤسسه
مطبوعات اميركبير، تهران، ۱۳۳۵، ص ۱۵.
[۱۵] الحاوي، ايليا. فن الهجاء، دارالثقافة، بيروت، ص
۱۸۴.
[۱۶] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ص ۱۸۴.
[۱۷] محمد حسين، محمد. الهجاء و الهجاؤن في صدر
الاسلام، دارالنهضة العربية، بيروت، ۱۹۷۱، ص ۴۳ و
۴۴. (نقلاً عن مروج الذهب، ۲ : ۷۰) و عبدالله بن همام
السلولي هو صاحب الأبيات المشهورة التي جمع فيها بين
تهنئة يزید بالخلافة و تعزيتة في وفاة ابيه معاوية التي يقول
فيها:

- [٣٣] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ٢٥٣.
- [٣٤] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ١٩٢.
- [٣٥] خاقاني، افضل الدين. ديوان، انتشارات زوار، تهران، ١٤٤٨، ص ١٧ و ١٨.
- [٣٦] خاقاني، افضل الدين. ديوان، انتشارات زوار، تهران، ١٤٤٨، ص ٤١٤.
- [٣٧] المتنبي، ابو الطيب. نفس المصدر، ص ٣٤.
- [٣٨] المتنبي، ابو الطيب. نفس المصدر، ص ٥٠.
- [١٠] خاقاني، افضل الدين . ديوان، تصحيح : ضياء الدين سجادي، انتشارات زوار، تهران، ١٤٤٨.
- [١١] دودپوتا. ع. م. تأثير شعر عربي بر تكامل شعر فارسي، چاپ اول، صدای معاصر، تهران، ١٣٨٢.
- [١٢] زرین کوب، عبدالحسين. دو قرن سکوت، چاپ ٥، انتشارات جاويدان، تهران، ١٣٥٥.
- [١٣] سمرقندی، سوزنی. ديوان اشعار، تصحيح: ناصرالدين شاه حسيني، چاپ اول. اميرکبير، تهران، ١٣٣٨.
- [١٤] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (العصر الاسلامي) ط ٦، دارالمعارف، مصر.
- [١٥] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (العصر الجاهلي)، ط ١٧، دارالمعارف، مصر.
- [١٦] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (عصرالدول و الامارات، الجزيرة العراق، ايران)، ط ٣، دارالمعارف، مصر.
- [١٧] قريب، بدرالزمان. «حست و جو در سنت ادبي ايران باستان»، ماهنامه كتاب ماه ادبيات و فلسفه، سال پنجم، شماره ٨، خرداد، ١٣٨٢.
- [١٨] المتنبي، ابوالطيب، ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت.
- [١٩] محمد حسين، محمد. الهجاء و المهاؤون في الجاهلية، ط ٣، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.
- [٢٠] محمد حسين، محمد. الهجاء و المهاؤون في صدر الاسلام، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.
- [٢١] ناصر، خسرو قبادياني. ديوان اشعار، تصحيح: سيدنصرالله تقوي و به كوشش مهدي سهيلي، مؤسسه مطبوعاتي اميركبير، تهران، ١٣٣٥.
- [٢٢] نيكوبخت، ناصر. هجو در شعر فارسي، چاپ اول، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ١٣٨٠.
- [٢٣] يعقوب، اميل بديع وميشال عاصي. المعجم المفصل في اللغة و الادب، دارالعلم للملايين، بيروت.
- [١] ابن جعفر، قدامة. نقدالشعر، دارالمكتبة العلمية، بيروت.
- [٢] ابن عبدربه. العقد الفريد، ط الاولى، دارمكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦.
- [٣] ابن منظور، مكرم بن محمد. لسان العرب، ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- [٤] انيس، ابراهيم واخرون. المعجم الوسيط، ط ٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران.
- [٥] البستاني، فؤاد افرام. المجازي الحديثة، ط ٣، دارالمشرق، بيروت.
- [٦] بلحاج، كاملي. «مدخل الى القصيدة الجاهلية قراءة في النشأة و التطور»، مجلة الموقف الادبي، العدد ٣٩١، تشرين الثاني ٢٠٠٣ www.awu-dam.org
- [٧] الحاوي، ايليا. فنّ الهجاء، دارالثقافة، بيروت.
- [٨] حلبي، علي اصغر. مقدمه اي بر طنز و شوخ طبعي در ايران، چاپ دوم، مؤسسه بيك و ترجمه و نشر، تهران.
- [٩] خاقاني، افضل الدين. تحفة العراقيين. تصحيح: يحيي قريب، چاپ ٢، انتشارات شركت سهامی كتابهای جيبی، تهران، ١٣٥٧.

بررسی مقایسه‌ای میان انگیزه‌های هجا در ادبیات عربی و فارسی

نصراالله شاملی^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۸۳/۹/۱۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵/۲/۲۴

از دیر زمان هجا یا هجوگویی یکی از اغراض شعری به شمار می‌آمده است. این امر بر تقبیح فردی یا جمعی تکیه داشته است. گاهی نیز از عاداتی اجتماعی یا قبیله‌ای با مظهری از مظاهر زندگی را شاعر به باد هجو می‌گیرد. بنابراین هجا عبارت است از تعبیری ادیبانه از کسی برای اینکه او را مورد هجو قرار دهد. انسان در طبیعت خود پیوسته دارای صفات گوناگون است گاه هجا است و می‌خواهد از دیگران انتقام بکشد. انتقام گاهی با تیر و کمان و نیزه و شمشیر بوده و زمانی با سخنان هجوگونه و ناسزا است. در این مقاله سعی ما بر آن است انگیزه‌های کلی هجا در ادب عربی و فارسی را به تصویر بکشیم و موارد مشترک هجا میان هر دو زبان را بیان کنیم و تفاوت‌های هر دو را بازگوییم. این مقارنه ادبی از نظر زمانی درست نمی‌باشد. زیرا هجو در ادب عربی (به‌ویژه شعر) از دیر زمان معمول بوده و سابقه آن به دوران جاهلیت (قبل از اسلام) کشیده می‌شود در حالی که در ادب فارسی هجوگویی از قرن چهارم به بعد رواج یافته است. لکن مقایسه هجو میان هر دو زبان، تفاوت‌های دیگری که ریشه در فرهنگ هر دو را دارد در ترازوی سنجش قرار می‌دهیم.

واژگان کلیدی: هجا، ادب، فارسی، عربی، بواعث

۱. استادیار دانشگاه اصفهان